مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 150 (2): 121-139

Damascus university journal of Historical Studies
V 150 (2):121-139

تأهيل وتأديب أبناء الخلفاء والطبقة الحاكمة في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م)

نغم علاء سليطين[1]، أ.د. سامي مرعي[2]

1. طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية.
2. أستاذ دكتور – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية.

الملخص

يُسلّط هذا البحث الضوء على الإسهام التربوي البارز لمؤدبي أمراء البيت العباسي، خلال الحقبة(232-334هـ/847-946م)، التي شهدت تحولات جذرية في البنى السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، فقد اضطلع هؤلاء المؤدبون بدور محوري في صياغة العملية التعليمية للأمراء وأبناء الطبقة الحاكمة، ليكونوا بذلك جسراً يربط بين الأصالة التربوية الإسلامية ومستلزمات إدارة شؤون الدولة، واستندت الرؤية التربوية التي صاغها أولئك المؤدبون إلى دمج المعارف النظرية بالتطبيقات العملية، فشملت مقرراتهم دراسة العلوم الشرعية من القرآن الكريم والاحاديث النبوية مع إيلاء عناية خاصة بموضوعي الحكم والعدل، إلى جانب اللغة العربية وآدابها، والفلسفة والمنطق، والتاريخ، والعلوم العسكرية والإدارية، في إطار الضوابط الإسلامية، كما أولوا اهتماماً لدراسة التاريخ وتحليل سير الحكام، مع تدريب عملي على أعباء الحكم عبر محاكاة واقعية لأعمال الديوان، وأسفرت تلك التربية المتكاملة عن تخريج قادة يجمعون بين ثقافة العالم والحنكة السياسية، وإن واكبت هذه النتائج بعض العثرات الناتجة عن ظروف سياسية أو ذاتية، وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال كشفها عن العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة، وإبرازها للأثر العميق للتربية في تشكيل عقلية الأمراء ووعيهم.

الكلمات المفتاحية: مؤدبو الأمراء، الخلفاء، المنهج التربوي، العصر العباسي الثاني، تأهيل الحكام، التدريب السياسي.

تاريخ الايداع : 2025/11/5
تاريخ القبول: 2026/2/24

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب CC BY-NC-SA

The training and discipline of the sons of the caliphs and the ruling class in the second Abbasid era (232–334 AH/847–946 AD)

Nagham Sulaiten[1], Sami Muray[2]

1. PHD Student – Postgraduate Studies Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University –Lattakia – Syria.
2. Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University – Lattakia – Syria.

Received: 5/11/2025
Accepted: 24/2/2026

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Summary

This research sheds light on the prominent educational contribution of the tutors of the Abbasid princes during the period (232-334 AH/847-946AD), which witnessed radical transformations in the political, economic, military, and social structures. These tutors played a pivotal role in shaping the educational process for the princes and the sons of the ruling class, thus serving as a bridge between Islamic educational principles and the requirements of managing state affairs. The educational vision formulated by these tutors was based on integrating theoretical knowledge with practical applications. Their curriculum included the study of Islamic sciences from the Holy Quran and Prophetic traditions, with particular attention to the topics of governance and justice, alongside Arabic language and literature, philosophy and logic, history, and military and administrative sciences. They also paid attention to the study of history and the analysis of rulers' biographies, along with practical training in the burdens of governance through realistic simulations of the work of the Diwan (council). This integrated education resulted in the graduation of leaders who combined scholarly knowledge with political acumen, even though these results were accompanied by some setbacks resulting from political or personal circumstances. The importance of this study stems from the following: It revealed the complex relationship between knowledge and power, and highlighted the profound impact of education on shaping the minds and consciousness of princes.

Keywords: Princes' tutors, caliphs, educational approach, second Abbasid era, training of rulers, political training.

المقدمة:

شكّلت الدولة العباسية، على امتداد عصورها، إطاراً حضارياً رحباً أثرى التراث الإنساني في شتّى المجالات العلمية والأدبية والسياسية، وقد اعتمد استمرار ذلك المشروع الحضاري واستقراره إلى حدٍ كبير على نجاح النظام التربوي في إعداد وتنشئة قادة قادرين على حمل الأمانة وإدارة دولة مترامية الأطراف، ومن هذا المنطلق تبرز أهمية دراسة الرموز التربوية التي كانت تقف وراء ذلك الإعداد، وعلى رأسهم المؤدبون، ويُعدُّ العصر العباسي الثاني (232–334هـ/847–946م) مرحلةً بالغة الأهمية في التاريخ الإسلامي، وقد شكّلت استمراريةً لمنظومة التأديب والتعليم التي تأسست في العصر العباسي الأول، مع تطويرها لتواكب التحولات السياسية والاجتماعية الجديدة، ففي العصر الأول، كان تعليم أبناء الخلفاء يرتكز على العلوم الشرعية واللغوية تحت إشراف كبار العلماء، بينما في العصر الثاني، أضيفت إليه أبعاد سياسية وعسكرية استجابةً لضعف السلطة المركزية وصعود النفوذ التركي، إذ شهدت الحياة الفكرية والتربوية تطوراتٍ عميقةً تحت تأثير التحولات السياسية والاجتماعية التي رافقت ضعف السلطة المركزية وبروز الدويلات المستقلة، وتمثلت أبرز سمات تلك التحولات في سيطرة القادة العسكريين من الأتراك على مقاليد الدولة، حيث بدأ نفوذهم يتعاظم منذ عهد الخليفة المعتصم (218–227هـ/٨٣٣–٨٤١م)، وتفاقم في عهد الواثق(227–232هـ/٨٤١–٨٤٦م)، ليصل إلى ذروته في الحقبة المدروسة (232–334هـ/847–946م) التي عُرفت بـ "عصر النفوذ التركي"، واتسمت فترته بكثرة تعيين الخلفاء وتنحيتهم ، مما أفرز واقعاً سياسياً مضطرباً اتسم بالفوضى والضعف المركزي، وفي خضم تلك المتغيرات، برز دور مؤدبي الأمراء كمحورٍ أساسي في تشكيل المنهج التربوي الذي ساهم في صياغة العقلية الحاكمة وأصحاب الكفاءة السياسية آنذاك، فقد كان تأديب الأولاد قاعدة دينية وتربوية وعرفاً متبعاً، فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن" (السيوطي، 2003، 57/2).

وقد تولى المؤدبون مهمة تعليم الأمراء وأبناء الطبقة الحاكمة، ما أتاح لهم فرصة التأثير المباشر في توجيه المسار التربوي والأخلاقي للقيادات الصاعدة، وبالتالي ترك بصمتهم على سياسات الدولة واتجاهاتها الفكرية، كما مثَّل مؤدبو الأمراء جسراً بين التراث التربوي العربي الإسلامي والمتطلبات العملية للسلطة، إذ جمعوا بين العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية، فضلاً عن المهارات السياسية والإدارية التي تطلبها إعداد الأمير للحكم، ومن هنا، فإن دراسة دورهم لا تكشف فقط عن المناهج التعليمية المتبعة، وإنما أيضاً عن التفاعل بين المعرفة والسلطة في تشكيل الرؤى التربوية التي سادت ذلك العصر، كما أن البحث في هذا الجانب يسلط الضوء على طبيعة العلاقة بين المثقفين والحكام، وكيفية توظيف المعرفة كأداةٍ لصناعة القيادات وتوجيه السياسات، وإذا كان العصر العباسي الأول قد حظي باهتمام العديد من الباحثين في مجال التاريخ التربوي والفكري كأحمد شلبي في كتابه التربية الإسلامية: نظمها فلسفتها وتاريخها، فإن العصر العباسي الثاني لا يزال بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الدراسات العميقة التي تكشف عن تفاعلات التطور التربوي في ظل التشرذم السياسي وتعدد المراكز الثقافية، ومن هذا المنطلق، يأتي هذا البحث ليلقي الضوء على الدور المحوري لمؤدبي الأمراء في بناء المنهج التربوي، مستنداً إلى المصادر التاريخية والتربوية التي حفظت جوانب من سيرهم وأساليبهم التعليمية، كما يسعى إلى تحليل الآثار المترتبة على عملهم في تشكيل شخصية الأمير العباسي، وانعكاسات ذلك على طبيعة الحكم والإدارة في تلك المدة، ولا يقتصر فهم هذه الحقبة التاريخية وفاعليتها التربوية على الإثراء الأكاديمي فحسب، بل يمتد إلى استخلاص الدروس المستفادة حول دور التربية في بناء شخصية الخلفاء وصناعة القرار، ومن المؤمل أن يُسهم البحث في سدِّ

ثغرةٍ في المكتبة التاريخية، معيداً الاعتبار لدور أولئك المؤدبين الذين شكلوا بصمتٍ وإخلاص، عقولَ من حملوا لواء الحكم وأداروا دفة الدولة في مرحلةٍ من أكثر مراحل التاريخ العربي الإسلامي تعقيداً وتشعباً.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الدور المحوري الذي اضطلع به مؤدبو الأمراء في تأهيل وتدريب أبناء الخلفاء والطبقة الحاكمة، حيث تجاوز دورهم التعليم التقليدي ليصبح إعداداً شاملاً يهدف إلى تهيئة القادة المستقبليين وإكسابهم المهارات السياسية والإدارية اللازمة لحكم الدولة، وتمثل هذه الأهمية في كشفها عن الآليات التربوية التي ساهمت في تشكيل العقلية الحاكمة وتوجيه القرارات السياسية في حقبة بالغة التعقيد، كما يطمح هذا العمل إلى ردْم فراغ في الكتابات التاريخية التي أولت العصر العباسي الأول جلّ اهتمامها، فيما أغفلت إلى حدّ كبير دور المؤدبين في الحقبة المدروسة، ليُشكّل بذلك إثراءً ملموساً للمراجع الأكاديمية والعربية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل الأثر التعليمي والتدريبي الذي مارسه مؤدبو أمراء البيت العباسي خلال مرحلته الثانية (232–334هـ/847–946م) مع رصد المقررات الدراسية والأساليب التربوية التي استخدمت في إعداد وتأهيل أبناء الطبقة الحاكمة، وإيضاح مدى مساهمة تلك المنظومة في بلورة الرؤية السياسية والثقافية للقادة، كما يطمح العمل إلى تتبّع الصلة الوثيقة بين عملية التنشئة وممارسة الحكم، والكشف عن الآليات التي استُخدمت فيها المعرفة كأداة لصناعة الكوادر القيادية وتشكيل التوجهات العامة.

مشكلة البحث:

على الرغم من القيمة التاريخية والتعليمية الكبيرة لدور مؤدبي أمراء العصر العباسي الثاني، إلا أن الأبحاث التي ناقشت هذا المحور تناولته بشكل غير شامل، حيث ركزت بعض الدراسات على الجوانب التعليمية التقليدية دون التعمق في البعد السياسي والتدريبي، أو اقتصرت على العصر العباسي الأول دون التطرق للتحولات التي شهدها العصر الثاني. ومن هنا، تُحدد الإشكالية الرئيسة للدراسة في سعيها للإجابة عن جملة من التساؤلات التي تدور حول الآليات التعليمية والتدريبية التي انتهجها المؤدبون، وطريقة استجابتهم للتحولات السياسية والفكرية المحيطة، وتأثير ذلك في صقل شخصية الأمراء وتوجهاتهم، مما يفتح الباب أمام التساؤل المحوري وهو: كيف أسهم مؤدبو الأمراء في تأهيل وتأديب أبناء الخلفاء خلال الحقبة الممتدة من 232 إلى 334هـ/ 847 إلى 946م؟ وما هو الأثر الذي تركه ذلك على تشكيل وعي الأمراء الفكري والسياسي؟.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على جمع المادة العلمية من المصادر الأولية والمراجع الموثوقة، ثم تحليلها لاستخلاص النتائج، كما استفادت من المنهج الوصفي في رصد الظواهر التربوية وتحليلها. وتم استخدام المصادر التاريخية مثل كتب التراجم، إضافة إلى المصادر التربوية والأدبية التي تسجل جوانب من حياة الأمراء وطرق تعليمهم، كما تم الاستفادة من الدراسات الحديثة التي تناولت التاريخ التربوي في العصر العباسي لتحقيق التكامل في التحليل والاستنتاج، والاستئناس بما ورد بها.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تحدثت عن تأهيل وتأديب أبناء الخلفاء في العصر العباسي ومنها:

- "ظاهرة التأديب في الحضارة العربية الإسلامية"، محمد بن سالم المسلمي، مجلة مركز دراسات الكوفة، عدد خاص، 2021م.

تشترك هذه الدراسة مع هذا البحث في اهتمامها بموضوع تربية أبناء الحكام خلال العصور الإسلامية، وتسليطها الضوء على المسؤولية المحورية التي قام بها المؤدبون في تشييد النظام التعليمي وتأهيل الأمراء لتولي مهام الحكم، كما تتفق معها في تشديدها على الأهمية الأساسية للعلوم الدينية واللغوية والأدبية ضمن برنامج الإعداد، حيث تتناول ممارسة التأديب عبر امتدادها الزمني خلال العصرين الأموي والعباسي، مع تركيز بارز على المتطلبات المعرفية والخلقية التي طُبقت على شاغلي تلك الوظيفة، في المقابل، يتميز البحث المقدم بالتركيز التحليلي على فترة العصر العباسي الثاني، لا سيما عصر النفوذ التركي (232–334هـ/ 847–946م) كمجال رئيسي، مع تعمق في استكشاف الصلة بين التربية وممارسة النفوذ، ودراسة أكثر تدقيقاً للأثر الذي خلفته العملية التعليمية على توجهات الدولة وسياستها الكبرى.

- "مظاهر التأديب والتعليم لأبناء الخلفاء في العصر العباسي (132–334هـ/ 750–945م)"، نوفل محمد نوري، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، المجلد 18، العدد3، 2011م.

تتقاطع هذه الدراسة والبحث في تركيزهما على ظاهرة التعليم والتربية خلال العصر العباسي، خاصة فيما يتعلق برعاية أبناء الخلفاء، حيث ينظر كلاهما في دور المؤدبين ومعايير انتقائهم، والمناهج الدراسية المتبعة، والأماكن التعليمية، وانعكاس ذلك على بناء شخصية الطلبة، كما يوليان اهتماماً واضحاً للأبعاد الأخلاقية والعلمية لتكوين النخبة الحاكمة، أما أبرز ما يميز بينهما، فهو أن الدراسة المذكورة تتسم بالتركيز على العصر العباسي الأول وعدم التطرق إلى العصر العباسي الثاني بشكل مفصل وواضح مما استوجب إعادة دراسة المدة التي تخص العصر العباسي الثاني وإبراز دور المؤدبين في تأهيل وتأديب أبناء الخلفاء في ذلك العصر.

- "مؤدبو الخلفاء في العصر العباسي الأول (132–247هـ/750–861م)"، محمد عيسى صالحية، جامعة تكريت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد2، العدد5، د.ت.

تُعالج كل من هذه الدراسة وبحثنا الموضوع ذاته، وهو تنشئة أبناء الخلفاء وتعليمهم خلال الحكم العباسي، حيث يسلط كل منهما الضوء على الدور الذي قام به المؤدبون في صياغة النظام التعليمي وأثره في تكوين شخصية الأمراء وتوجهات الدولة. ويعتمد العملان معاً على المصادر التاريخية والتربوية في استقصاء الجوانب المعرفية والأدبية والخلقية المرتبطة بتأهيل النخبة الحاكمة، وتتمثل أبرز نقطة اختلاف بينهما في الإطار الزمني الذي تغطيه كل دراسة؛ فبينما تركز الدراسة المقارنة على مرحلة العصر العباسي الأول (132–247هـ/750–861م)، ينحصر مجال البحث في الحقبة اللاحقة المعروفة بالعصر العباسي الثاني (232–334هـ/ 847–946م)، وهو ما يعكسان من خلاله ظروفاً سياسية وثقافية متباينة. إضافة إلى ذلك، يتميز البحث بالتركيز على تداخل العلاقة بين التربية وممارسة السلطة، وتحليل تأثير العملية التعليمية في صنع القرارات السياسية، في حين تنصب الدراسة الأخرى بشكل أساسي على المضامين التعليمية والمنهجية بشكل مباشر.

أولاً: مفهوم التأديب ومراحل تربية الأمراء في العصر العباسي الثاني

يُشتق لفظ التأديب في اللغة من مادة (أَدَبَ) التي تدل على التهذيب والتعليم، (الهروي، 2001م، 147) والمعلم يقوم بعملين هما التأديب والتعليم، ومن هنا دعي أيضا بالمؤدب لأن الأدب يعني الخلق، ويعني رواية العلم. ويلجأ المعلم في عمله التأديبي الى القصاص على التهاون أو الكسل (الجاحظ، 2002، 28)، وقد جاء في الحديث: "من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه، وأن يعفه إذا بلغ"، (البزار، 2009م، 15/176، حديث رقم 8540)، وتطورت تلك المفردة مع ظهور الإسلام إلى معنى الأخلاق وتقوية الطباع وصارت بالمعنى الخلقي التهذيبي وفضائل الأخلاق والصفات المحمودة (المسلمي، 2021م، 305)، وكثيراً ما كان يخصص للمؤدب جناح في القصر يعيش فيه، ليكون إشرافه على الأمير أحكم وأشمل. (شلبي، 1987: 59)، ارتبطت بدايات الاهتمام المنظم بتأديب أبناء الخلفاء في الدولة العباسية مبكراً في العصر العباسي الأول، ويمكن تلمس جذور هذا الاهتمام المنظم في ممارسات التأديب التي سادت البلاط الأموي، والتي أعدت الإطار التربوي الأول لأبناء الحكام، غير أن التطور الحقيقي للمنظومة حدث في عهد الخليفة هارون الرشيد (170–193هـ/786–808م) الذي اهتم بتعليم أبنائه الأمين(ت:198هـ/813م) والمأمون(218هـ/833م)[1] على يد كبار العلماء مثل الكسائي[2]، والفراء[3]، وقد اتسم التعليم في ذلك العصر بالتركيز على العلوم الشرعية واللغوية، مع إدخال عناصر من الفلسفة اليونانية خاصة في عهد المأمون (198–218هـ/813–833م) الذي أسس بيت الحكمة، وكان الهدف الرئيس يتمثل في إعداد خلفاء مثقفين قادرين على قيادة دولة مترامية الأطراف ، وقد تخطى المفهوم دلالته اللغوية الضيقة ليتحول إلى منهج متكامل يهدف إلى تشكيل شخصية الأمير من النواحي الفكرية والسياسية والخلقية، فبينما يقتصر التأديب العادي على تهذيب السلوك، فإن تأديب الأمراء ارتقى ليكون أداة لترسيخ الشرعية الحاكمة، حيث امتزج فيه تعليم النصوص الدينية مع التدريب العملي على شؤون الحكم من خلال إدارة الدواوين وحتى المشاركة في المناورات الحربية، وهذا يبرز الطابع التطبيقي الذي اتسم به التأديب كاستجابة لمتطلبات المرحلة، وفي خضم التحوّلات التي شهدتها الدولة العباسية في عصرها الثاني، أصبح تأديب الأمراء إحدى الركائز الأساسية التي اعتمدتها السلطة لضمان الحكم وإعداد الجيل التالي من القادة، وبالتالي لم يكن ذلك التأديب مجرد نقل للمعرفة، بل كان برنامجاً تكوينياً شاملاً يطال عقل الأمير وروحه وسلوكه، بهدف صياغة شخصية قادرة على تحمل مسؤوليات المُلك ومواجهة الأزمات المتلاحقة التي كانت تواجهها الدولة (مصطفى، 1990م، 83).

ارتكزت فلسفة التربية في تلك الحقبة على ركيزتين أساسيتين: ترسيخ المبادئ الإسلامية والقيم الأخلاقية الراسخة، إلى جانب بناء المهارات القيادية والحربية اللازمة، وفي طور الطفولة المبكر للأمراء، كان برنامج التأديب يبدأ بتعليم المؤدب للصبي كتابة الحروف (النويري، 2002، 135/9) ثم الانتقال إلى تعليم القرآن الكريم وحفظ نصوصه، على غرار ما جرى مع الخليفة المعتز بالله(ت: 255هـ/٨٦٩م) الذي أتم حفظ الكتاب العزيز قبل أن يبلغ سن الرشد (ابن عساكر، 1998م، 315/18)، وشكّلت دراسة

---

[1] المأمون (ت 218هـ/833م): عبد الله بن هارون الرشيد، سابع خلفاء بني العباس، اشتهر بفتنة "خلق القرآن" وعزز النهضة العلمية في عصره، وجعل المعتزلة مذهباً رسمياً للدولة.

[2] الكسائي (ت 189هـ/805م): علي بن حمزة النحوي، إمام القراءة والنحو، صاحب إحدى القراءات السبع المتواترة، وعُرف بلقب "كساء الخليل" لتفانيه في خدمة اللغة.

[3] الفراء (ت 207هـ/822م): يحيى بن زياد، إمام اللغة والنحو الكوفي، وصاحب المؤلفات الرائدة مثل "معاني القرآن"، وعُرف بغزارة علمه ودقته في التحليل اللغوي.

الحديث النبوي لاسيما الأحاديث المتعلقة بآداب الحكم وسلطة الولاية – ركناً محورياً في تلك المرحلة التأسيسية، فقد عمل المؤدبون على توظيف النصوص الدينية لتفسير وقائع الحكم اليومية، مقروناً ذلك بتطبيقات عملية كما تجلّى في أنموذج الخليفة المكتفي بالله(295هـ/907م)[1] الذي عُرف بانعقاد مجالس القضاء تحت إشرافه للنظر في شكاوى المواطنين، وهو ما يُعزى إلى تربيته الإسلامية المتينة، ومع بلوغ الأمير مراحل عمرية متقدمة، كان المحتوى التعليمي يزداد اتساعاً ليمتد إلى آداب اللغة وفنونها، حيث اهتمّ مشاهير الأدباء وعلماء اللغة كأبي علي القالي (ت: 356هـ/٩٦٦م)[2] وابن قادم(ت:251هـ/٨٦٥م)[3] بتعليم الأمراء أصول البيان والشعر (الحموي، 1993م، 25/7) مما ساهم في صقل شخصياتهم الثقافية، ويظهر أثر ذلك الجانب جلياً في عبد الله بن المعتز[4] (ابن خلكان، 1994م، 76/3) الذي تحول من أمير عادي إلى أديب وشاعر كبير، ألّف كتاب "طبقات الشعراء" الذي يعد من أهم المصنفات الأدبية في ذلك العصر، (دياب، 2001م، 160). ولم تقتصر العملية التربوية على الجانب النظري، بل شملت تدريبات عملية على إدارة شؤون الدولة، إذ كان المؤدبون يشرحون للأمراء نظام الحكم والدواوين، كما فعل أبو بكر الصولي[5] (العسقلاني، 1971، 427/5) مع الأمير المقتدر بالله[6]، الذي كان يدرسّه أصول الإدارة والمراسلات الديوانية، (ضيف، 1995م، 380)، وفي خضمّ التهديدات الأمنية التي أحاطت بالدولة، حظي البُعد السياسي–العسكري في تأديب الأمراء بأولوية استثنائية، كما يتضح من عناية الخلفاء بتدريب أبنائهم على المهارات القتالية منذ عهد الخليفة المتوكل(ت:247هـ/٨٦١م) والمعتز بالله (ت: 255هـ/٨٦٩م)، وهو ما يشير إلى استجابة تربوية مبكرة للمتغيرات الأمنية، فقد أولى المؤدبون اهتماماً بالغاً لتدريب النشئ الأميري على المهارات القتالية وتخطيط الحروب، إلى جانب إلمامهم بالعلوم الدينية والأدبية، ولم يكن ذلك المزج بين السيف والقلم مجرد صدفة، بل جاء كرد فعل منطقي للهيمنة المتزايدة للعناصر التركية على مفاصل الجيش والحكم.

ويُعدُّ الخليفةُ الراضي باللهِ(ت:329هـ/٩٤١م)[7] تجسيداً لثمرةِ هذا المنهجِ التربويِّ المتكامل، إذ أظهرَ قدرةً في إدارةِ شؤونِ الحكمِ مستنداً إلى المبادئِ التي غرسها فيه مُؤدِّبوه، ما ساهمَ في الحفاظِ على هيبةِ الخلافةِ في ظلِّ ظروفٍ سياسيةٍ بالغةِ التعقيد، غير أن الأثر الفعلي لتلك التربية تفاوت بشكل لافت، تبعاً لطبيعة كل أمير والملابسات السياسية السائدة، فبينما أسفرت عن تشكيل شخصيات قيادية ناجحة كالمعتز(ت: 255هـ/٨٦٩م)، والمكتفي بالله، فإنها عجزت عن تقويم سلوك أمراء آخرين على شاكلة

---

[1] المكتفي بالله: أبو محمد علي بن أحمد بن طلحة بن جعفر، خليفة عباسي، ابن أم ولد تركية، تولى الخلافة سنة 289هـ/901م، واستمر حتى توفي سنة 295هـ/907م عن 31 عامًا.

[2] أبو علي القالي (288–356هـ/900–966م): إسماعيل بن القاسم بن عيذون، لغوي بارع، مؤلف "الأمالي" و"البارع"، قرأ على ابن دريد والأخفش الصغير وغيرهم، وأحد أبرز علماء اللغة في عصره.

[3] ابن قادم: نحوي بارع، من تلاميذ الفراء، مؤدب المعتز قبل الخلافة، توفي سنة 251هـ/865م.

[4] عبد الله بن المعتز بالله هو أبو العباس الهاشمي العباسي، أديب وشاعر من أهل بغداد، وُلد سنة (249هـ/863م)، وتولى الخلافة بشكلٍ قصيرٍ جداً لمدة يوم وليلة فقط سنة (296هـ/ 909م) ثم قُتل خنقًا في نفس السنة، اشتهر بأدبه الرائق ونثره البديع.

[5] أبو بكر الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله، ويعرف بالشطرنجي، من أكابر علماء الأدب، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، هم: الراضي والمكتفي والمقتدر، وله تصانيف، منها الأوراق، أشعار أولاد الخلفاء، أخبار الراضي والمتقي.

[6] المقتدر العباسي (295–320هـ/ 908–932م): تولى الخلافة صغيرًا سنة 295هـ/907م، عُزل ثم أعيد بعد يومين، طالت خلافته وكثرت فيها الفتن.

[7] الراضي بالله: أبو إسحاق محمد، وقيل: أحمد –ابن المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن الموفق بن المتوكل الهاشمي، ولد سنة 297هـ، وأمه رومية، (تولى 322هـ/933م)، اشتهر بمشاركته الأدبية والعسكرية، واستمر خليفة حتى وفاته 329 هـ/ 941م.

القاهر بالله(ت: 322هـ/933م)[1]، الذي اشتهر بسيرته السيئة رغم تلقيه نفس البرنامج التعليمي (السيوطي، 1996، 281) ، ويشير هذا التباين في النتائج إلى أن المنظومة التعليمية، على الرغم من دورها المحوري، لم تكن بمنأى عن ضغوط الصراعات الداخلية والعوامل الخارجية التي هزّت أركان الدولة. وإذا كان الهدف المعلن من تربية الأمراء يتمثل في تأهيلهم لتحمّل أعباء الحكم، فإن هناك غايات كامنة أكثر عمقاً كانت تكمن خلف تلك الآلية. فسياسياً، مثلّ التأديب أداة استخدمتها الخلافة لترسيخ شرعيتها في مواجهة القوى المنافسة، خاصة في ظل تصاعد نفوذ الكيانات شبه المستقلة كالدولة الطولونية التي أسسها أحمد بن طولون في مصر والشام، واستقلت عن الخلافة العباسية بين عامي (254–292هـ/ 868–905م)، والإخشيدية التي أسسها محمد بن طغج الإخشيد في مصر والشام، وحكمت بين عامي (323–358هـ/935–969م) (فضل الله، 2001م، 16)، ومن الناحية الثقافية، كان وسيلة للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية في ظل التأثيرات الفارسية والتركية المتزايدة، كما مثل التأديب أداة لضمان ولاء الفئة الحاكمة، خاصة بعد تجربة سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم. (ربوشة، 2023م، 183–184).

شكّل الإعداد المبكر لأمراء البيت العباسي ركيزة أساسية في سياسة الخلفاء، إذ كان الاهتمام بتهيئة الورثة يبدأ منذ مراحل نموهم الأولى، ولم يكن ذلك الإعداد قاصراً على الجانب المعرفي فحسب، بل شمل أيضاً بناء الشخصية الأخلاقية لتتلاءم مع عظمة منصب الخلافة المقبل، وكانت أولى خطوات تلك الرعاية تتمثل في الحرص على انتقاء المرضعات ذوات السمعة الطيبة والأجسام السليمة، انطلاقاً من قناعة راسخة آنذاك بتأثير حليب المرضعة المباشر على نشأة الطفل بدنياً وخلقياً، لذلك نهي عن استرضاع المريضة وفاسدة الأخلاق، وكان الاختيار ينصب على المرأة الصالحة (كحالة، 1973م، 44)، وبمجرد تجاوز مرحلة الطفولة المبكرة، يُشرع في غرس الأسس العقائدية في وجدان النشئ، فيكون أولى الخطوات تعريفهم بحقيقة الإيمان عبر ترديد كلمات الشهادة: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، ويهدف ذلك المنهج إلى ضمان أن تكون أولى المعارف التي يستقبلها عقل الطفل وقلبه هي معرفة الخالق وتوحيده.

لم يكن اختيار مُؤدِّبي الأمراء خلال العصر العباسي الثاني مجرد إجراء روتيني، بل كان عمليةً تربوية دقيقةً تُعنى ببناء العقول قبل شحنها بالمعرفة، ففي المدة المدروسة (232–334هـ/847–946م)، كان يتم انتقاء هؤلاء المؤدبين وفق مواصفاتَ شديدة الدقة، تجمع بين الحكمة والقدوة الحسنة، فلم يكن يكفي أن يكون المؤدب عالمًا؛ بل كان يشترط أن يكون "عاقلا ذا دين بصيرا برياضة الأخلاق حاذقا بتخريج الصبيان وقوراً رزينًا بعيداً من الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي غير كز ولا جامد بل حلواً لبيباً ذا مروؤة ونظافة ونزاهة قد خدم سراة الناس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك ويتعايرون به من أخلاق السفلة وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة" (ابن سينا، د.ت، 102)، ولم يكن الخلفاء ليتركوا تللك المهمة الحساسة للصدفة، فكثيرًا ما كانوا يخوضون بأنفسهم في اختيار المؤدبين وامتحان كفاءتهم، ولم يتوقف دور الخلفاء عند مجرد التعيين، بل امتد إلى المتابعة المستمرة لسير العملية التعليمية. فكانوا يراقبون تقدم أبنائهم عن كثب، سواءً بحضور جلسات التعليم بأنفسهم أحيانًا، أو بتلقي تقارير مفصلة عن سير الدروس وتطور الأبناء، مما يعكس حرصًا شخصيًا غير مسبوق على جودة المخرجات، أما المنهج الدراسي، فكان شاملاً ومتوازنًا، يضع الأسس المتينة للشخصية المسلمة، وكانت الأولوية القصوى دائمًا

[1] القاهر بالله: محمد بن أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل، تولى الخلافة سنة 320هـ/932م وعمره 35 سنة، لقب بالقاهر بالله، واستمر في الخلافة حتى قتل سنة 322هـ/934م.

لتحفيظ القرآن الكريم وتفهيم معانيه، ليكون هو النور الذي يهدي سبيلهم، ثم يأتي من بعده بناء الشخصية عبر دراسة الحديث النبوي الشريف والفقه ليعرفوا حدود دينهم، وإتقان اللغة العربية والنحو ليتمكنوا من التعبير ببلاغة، ودراسة الشعر والسير التاريخية ليستلهموا الحكمة والعبر، وقد برزت اهتمامات متخصصة بين الأمراء أنفسهم، فكان المعتز بن المتوكل أنموذجًا للشغف بالعلم، إذ كان يواظب على سماع الأحاديث من الكتب مثل صحيح البخاري ومسلم (القنوجي، 2007م، 400).

يمكن تفسير ذلك الاهتمام الاستثنائي الذي أولاه الخلفاء لتربية وتعليم أبنائهم، انطلاقًا من رؤية استراتيجية عميقة، فقد أدركوا أن منصب الحكم ليس مجرد موقع للسلطة، بل هو أمانة كبيرة لا يصلح لها إلا من تأهّل بالعلم الرصين والأخلاق الرفيعة، وكان ذلك الإعداد المتقن يُعد بمثابة الضمانة الأكثر مصداقية لاستمرارية دولة قوية ومتماسكة، إذ أن الأمير المؤهل علميًا والأديب أخلاقيًا هو حجر الزاوية في بناء نظام حكم مستقر، ولم يكن ذلك المنهج التربوي مجرد نقل للمعلومات، بل كان عملية شاملة لصقل الشخصية وبناء الذات، فقد عملت تلك العناية الفائقة، التي وصلت إلى مستوى الرعاية الشخصية، على تشكيل هوية الأمراء الشباب، وطبعهم بسمات القيادة، ورسم معالم الشخصية المتوازنة القادرة على تحمل أعباء المسؤوليات الجسام، وكانت غاية ذلك المشروع التربوي الطموح هي إعداد جيل من القادة المؤهلين ليس فقط لتولي منصب الخلافة، بل لقيادة الأمة في مسارها الصحيح بكل حكمة وكفاءة (نوري، 2011م، 44)، كما أن اختيار المؤدبين من بين العلماء البارزين كان يهدف إلى غرس القيم الإسلامية والأخلاق الحميدة في نفوس الأمراء منذ الصغر، لأنهم كانوا يعدون أبناءهم ليخلفوهم في مراكزهم، فكان لابد من تعليمهم العلوم والمناهج، مع ما يتناسب من كونهم أولادا للخلفاء سوف يتحملون قيادة الدولة وإدارتها (المسلمي، 2021م، 325).

لم يقتصر الاهتمام التربوي لأمراء العصر العباسي على توفير المؤدبين المؤهلين، بل تجاوزه إلى إحاطتهم بمرافقين يتميزون بالذكاء والفطنة، حيث كان يتم اختيارهم بعناية فائقة ليكونوا عوناً للأمراء في مسيرتهم التعليمية. ويتجلى ذلك الحرص من خلال التنشئة التي تلقاها الموفق بن المتوكل[1] (ابن الأثير، 1998م، 6/258–260) (مرعي، 2020، 140/143)، على يد مؤدبه الزبير بن بكار عالم بالأنساب وأخبار العرب، وقاضي مكة الذي رافقه وألف كتابه الموفقيات نسبة للموفق (الزركلي، 2002، 3/42)، مما يدل على حالة التعاون بينهما والإثراء في البيئة التعليمية، ولم تكن جدران القصور حاجزاً يعزل الأمراء عن العالم الخارجي، بل حرص الخلفاء على إرسال أبناءهم إلى البادية، مؤمنين بأنها الميدان الأمثل لاكتساب اللغة العربية الفصيحة في مهدها الأصلي، علاوة على تقوية أجسادهم وبناء شخصياتهم في أحضان الطبيعة الصحراوية الأصيلة، وبهذا يمكن القول إن عملية تأديب الأمراء كانت منهجية متكاملة، تبدأ من مراحل الطفولة المبكرة وتستمر حتى سن الرشد. وقد اعتمد ذلك المنهج على دمج التعليم النظري بالتربية الأخلاقية والتطبيق العملي، تحت الإشراف المباشر للخلفاء الذين كانوا يتابعون أدق تفاصيل تلك العملية باهتمام بالغ، وساهم ذلك المنهج الشامل في إعداد جيل من القادة المؤهلين لتحمل مسؤوليات الحكم. ورغم تفاوت النتائج التي أسفرت عنها تلك التجربة التربوية، ويمكن تفسير ذلك التفاوت بعوامل متعددة، منها: التدخلات السياسية للأتراك، والضعف الشخصي لبعض الأمراء، وتأثير الصراعات الداخلية على استقرار العملية التعليمية، إلا أن تلك التجربة شكلت إرثاً فكرياً مهماً

[1] الموفَّقُ: أبو أحمد الموفق بالله بن جعفر المتوكِّل (ت: 278هـ/891م)، ولي عهد أخيه المعتمد، حارب الزنج، ويعقوب بن الليث الصفار، فلما توفي خلفه ابنه أبو العباس المعتضد في التدبير بأمور الناس.

يكشف عن عمق الرؤية التربوية لدى النخبة المثقفة في ذلك العصر، وقدرتها على التكيف مع المستجدات السياسية والاجتماعية المتغيرة.

ثانياً: الإطار التاريخي لدور مؤدبي الأمراء في العصر العباسي الثاني

مثّلت حقبة العصر العباسي الثاني لا سيما عصر النفوذ التركي (232–334هـ / 847–946م) محطةً فارقة في المسار التاريخي الإسلامي، حيث شكّلت حلقة وصل بين مرحلة القوة والنهضة التي طبعت العصر العباسي الأول، ومرحلة التراجع والتشرذم التي ميّزت العصر التالي، وقد اتسمت تلك المدة بتحوّلات جذرية في البنى السياسية، تجلّت في تنامي هيمنة العناصر التركية على مؤسستي الجيش والحكم، وتراجع النفوذ الفعلي للخليفة، وصعود كيانات حاكمة مستقلة على أطراف الدولة، كالدولة الطولونية في مصر والشام، والدولة الصفارية في مناطق فارس، (الماتريدي، 2005م، 45)، وسط هذه التغيرات السياسية الجذرية، ظهر مؤدبو الأمراء كركيزة أساسية ضمن المؤسسات التي حافظت على استمرارية إعداد النخبة الحاكمة وتأهيلها لقيادة الدولة. وقد تبلور هذا الدور في سياق تاريخي دقيق، حيث تحول تعليم الأمراء إلى حاجة لا غنى عنها مع تصاعد الضغوط السياسية والعسكرية التي واجهتها الخلافة، وتعد فترة حكم الخليفة المتوكل[1]، أنموذجاً بارزاً على ذلك(المسعودي، 2005م، 288) (ابن الأثير، 1998م، 11) حيث أولى اهتماماً خاصاً لتعليم أبنائه، فعهد بتربية ولده المعتز إلى مجموعة من العلماء والمربين، منهم يعقوب بن إسحاق السكيت[2]، (ابن الجوزي، 1992م، ج312/11).

الجدول (1): أبرز مؤدبي الأمراء والخلفاء في العصر العباسي الثاني (232–334هـ/847–946م)

الخليفة	المؤدبون البارزون	ملاحظات
المتوكل (232–247هـ/٨٤٦–٨٦١م)	يعقوب السكيت، الجاحظ	بداية التوسع في التعليم السياسي
المنتصر بالله (247–248هـ/861–862م)	لم يُسجل	لم يتم العثور على مؤدبين مسجلين
المستعين بالله (248–252هـ/862–866م)	لم يُسجل	لم يتم العثور على مؤدبين مسجلين
المعتز (252–255هـ/٨٦٦–٨٦٨م)	ابن قادم، أبو علي القالي	اهتمام باللغة والأدب
المهتدي (255–256هـ/٨٦٨–٨٦٩م)	محدّثون وفقهاء	تربية دينية مكثفة
المعتمد (256–279هـ/٨٦٩–٨٩٢م)	العلماء البغداديون	استمرار النموذج التقليدي
المعتضد (279–289هـ/٨٩٢–٩٠١م)	أبو بكر الصولي، المروزي	دمج العلوم الإدارية
المكتفي (289–295هـ/٩٠١–٩٠٧م)	أدباء وعلماء حديث	تعزيز البعد السياسي
المقتدر (295–320هـ/٩٠٧–٩٣٢م)	الصولي، أدباء البلاط	تأثر بتدخل الأتراك
القاهر بالله (320–322هـ/932–934م)	لم يُسجل	لم يتم العثور على مؤدبين مسجلين
الراضي (322–329هـ/٩٣٤–٩٤٠م)	متى بن يونس، أدباء	انفتاح على الفلسفة
المتقي لله (329–333هـ/940–944م)	لم يُسجل	لم يتم العثور على مؤدبين مسجلين
المستكفي بالله (333–334هـ/944–946م)	لم يُسجل	لم يتم العثور على مؤدبين مسجلين

[1] المتوكل على الله: الخليفة العباسي العاشر (206–247هـ/821–861م)، بويع بعد وفاة أخيه الواثق (سنة 232هـ/847. م)، بنى المتوكلية والملوية في سامراء، وجدَّد مقياس النيل، قُتل بعد 15 عامًا في الخلافة.

[2] يعقوب بن إسحاق السكيت: عالم لغوي ونحوي، مؤلف كتاب "إصلاح المنطق"، مؤدب أولاد المتوكل، توفي سنة 246هـ/860م.

ويلاحظ أن معايير اختيار المؤدبين كانت تُحدد غالباً من قبل الخلفاء أنفسهم أو كبار حاشيتهم، مع تدخل متزايد من الأمراء الأتراك خاصة في أواخر المدة.

تُعدّ عملية اختيار المؤدّبين لأبناء الخلفاء والحكام من المسائل المحورية التي حظيت باهتمام بالغ، حيث وُضعت معايير محددة لانتقاء العلماء لتلك المهمة الحساسة ووضعت معايير دقيقة لانتقاء المؤدبين، جمعت بين الشروط العلمية والأخلاقية والشخصية، فمن الناحية العلمية، اشترط توافر الخبرة التعليمية والإنتاج العلمي المتميز، ومن الناحية الأخلاقية، اشترطت القدوة الحسنة والتدين والخلق الرفيع، أما الشروط الشخصية، فشملت المظهر اللائق والحكمة والوقار، مع تجنب الخفة والسخف. وكان الخلفاء يشاركون شخصياً في عملية الاختيار والمتابعة وتوجيه الوصايا والنصح لهم ومن هنا استنتجنا تلك المعايير، ، وقد اشترطت تلك المعايير توافر خبرة سابقة في مجال التعليم، بالإضافة إلى التزكية من قبل مؤدّبين مرموقين، ووجود إنتاج علمي متميّز، كما أولى القائمون على الاختيار عناية خاصة بالمظهر اللائق، حيث تُروى في هذا الصدد واقعة الجاحظ [1] الذي رُشّح لتأديب أحد أبناء الخليفة المتوكل، فلما رآه الخليفة استقبح منظره، فأمر له بمكافأة مالية وصرفه عن تلك المهمة، وتكشف تلك الحادثة عن مدى تأثير المؤدّب في تشكيل شخصية الأمير، وعن أهمية المظهر إلى جانب الكفاءة العلمية في عمليات الاختيار (الجاحظ، 1419هـ، 7)، فقد رُفض الجاحظ كمؤدب برغم ما كان يتمتع به من سعة علم وأدب وثقافة، كما برز في تلك المدة عدد من المؤدبين الذين اشتهروا بتعليم الأمراء، كابن قادم (الصفدي، 2000م، 240) (الزركلي، 2002م، ج222/6) الذي كان له دور في تربية بعض أبناء الأسرة العباسية، حيث تشير المصادر التاريخية كيف كان يعلمهم النحو والعلوم الشرعية، وقد تطورت مهمة مؤدبي الأمراء مع تطور الأوضاع السياسية، ولمّا كان عهد الخليفة المعتضد[2]، (السيوطي، 2003، 293–296)، برز تأثير المؤدبين بشكل لافت في صياغة المضامين التعليمية، حيث حرص الخلفاء على تزويد أبنائهم بمنهج تربوي متكامل يجمع بين العلوم الشرعية والأدبية والتاريخية. وقد هدفت تلك العملية التعليمية إلى ترسيخ المبادئ الإسلامية وتعزيز الانتماء للنظام الحاكم، كاستجابة للتحديات السياسية التي واجهت كيان الدولة، وتعاظم الدور التربوي للمؤدبين خلال المرحلة التي تلت عهد الخليفة المعتضد، حيث تحول تعليم الأمراء إلى أداة فعالة للحفاظ على شرعية الحكم في مواجهة القوى المنافسة التي سعت للسيطرة على السلطة، ففي عهد الخليفة المقتدر، (ابن تغري بردي، د.ت، 233)، وفي خضمّ الأوضاع السياسية والمالية المضطربة، سعى مجموعة من المؤدّبين إلى الحفاظ على مستويات تعليمية رفيعة لأمراء البيت الحاكم، فقد تميّزت تلك المرحلة بتنوّع خلفيات المؤدّبين، حيث لم يقتصر الاختيار على علماء الشريعة والفقهاء، بل امتدّ ليشمل أدباء وكتّاباً عُرفوا باتساع ثقافتهم وإلمامهم بعلوم عصرهم، فأصبح انتقاء المؤدّبين من بين المتميزين في مجالي الشعر والكتابة ممارسةً شائعة، مثل أبي علي القالي (الحموي، 1993م، 25) (ابن خلكان، 1994م، 226)، وامتاز مؤدبو الأمراء ببراعتهم اللغوية والأدبية، ما مثل مرآة عكست تطور المنظومة التعليمية في تلك الحقبة، فلم يعد المنهج التربوي حبيساً للمعارف الدينية فحسب، بل امتد ليشمل مختلف العلوم الرائجة في ذلك الزمن، وقد تشكلت ملامح تلك الظاهرة التعليمية بفعل التحولات المجتمعية والثقافية التي عاشتها بغداد كقلب نابض للخلافة، حيث تحولت العاصمة إلى بوتقة تنصهر فيها التيارات الفكرية المتنوعة.

---

[1] عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة (163 - 255هـ/ 780 - 869 م).

[2] المعتضد العباسي (242–289هـ/856–901م): تولى الخلافة سنة 279هـ/892 م، اشتهر بالعدل والحزم، وتوفي بعد مرضه.

كما كان للبيئة السياسية المضطربة أثر كبير في تطور دور مؤدبي الأمراء، إذ أصبح تعليم الأمراء وسيلة لتعزيز شرعية الخلافة في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، واستمر ذلك المنهج التربوي في إعداد أبناء الخلفاء في العصر البويهي (النويري، 2004م، 26/ 267) حاول بعض الخلفاء تقوية مركزهم من خلال الاهتمام بتربية أبنائهم تربية خاصة تؤهلهم لمواجهة التحديات الجديدة، تشير المصادر التاريخية إلى أن بعض الخلفاء في أواخر العصر الثاني سعوا لتوفير تعليم شامل يدمج بين المعارف العسكرية والعلوم الدينية، وذلك استجابة للأوضاع السياسية المضطربة، ومن هذا المنظور، لم يعد دور مؤدبي الأمراء في أواخر ذلك العصر مقتصراً على تعليم الأساسيات من قراءة وكتابة، بل تطور ليصبح بمثابة إعدادٍ سياسيٍ وقياديٍ يهدف إلى تأهيلهم لتولي المسؤولية ومواجهة تعقيدات الحكم. وقد انعكس ذلك التحول بشكل مباشر على المنهج التربوي، فأصبح أكثر تنوعاً واتساعاً، مجسداً بذلك التحولات الجذرية التي مرت بها الدولة العباسية خلال مرحلة بالغة الحساسية من تاريخها.

ثالثاً: المنهج التعليمي لمؤدبي الأمراء ومصادره المعرفية

تميزت العملية التعليمية التي طُبقت على أمراء العصر العباسي الثاني بتنوعها وغناها الفكري، حيث مزجت بين التراث الإسلامي الأصيل والمعارف المستمدة من الحضارات الأخرى، مما أنتج نسيجاً ثقافياً مركباً يقوم على مرتكزات متنوعة، وقد استند المربون في المقام الأول إلى القرآن الكريم وعلومه كحجر أساس للبناء القيمي والأخلاقي، إذ مثل إتقان حفظ القرآن وتلاوته الركيزة الأولى في تعليم النشء الأميري، كما حرص المؤدبون على توفير معرفة شاملة لأبناء الخلفاء تشمل الدين واللغة والأدب والعلوم المختلفة، مع منح الأولوية القصوى للدراسات الدينية نظراً لأهميتها البالغة على المستويين الشخصي والسياسي (صالحية، د.ت، 65)، وقد شغل الفقهاء والعلماء دوراً محورياً في تحفيظ الأمراء القرآن وشرح علومه، ومن الأسماء البارزة في هذا المجال أبو العباس أحمد بن محمد المروزي[1] (الذهبي، 1985م، ج537/15)، الذي عُرف ببراعته في تعليم القرآن الكريم وشرح معانيه، وعلى الرغم من عدم وجود إثبات قاطع في المصادر التاريخية على كونه المُربّي الخاص للخليفة المعتز، فقد اتسم المنهج التعليمي للأمراء بالشمول والعمق، حيث تجاوز التلقين والحفظ إلى استيعاب المقاصد الشرعية وتفسير النصوص، وربطها بواقع الدولة السياسي والاجتماعي، وقد حرص المؤدبون على استنباط العبر من القصص القرآني والتشريعات الإسلامية، لتصير مرجعية توجيهية للحكام المستقبليين ويُمثّل المروزي أنموذجاً للعلماء الذين ساهموا في تلك المنظومة سواء بالتدريس في القصور أو عبر مؤلفاتهم التعليمية، كما أولت التربية الأميرية في تلك المدة عناية فائقة لعلوم الحديث، حيث تم انتقاء الأحاديث التي تدعم الأخلاق الحميدة ومبادئ الحكم العادل، وربطها بممارسة السلطة. وتشير المصادر إلى أن الخليفة المتوكل كان يجلّ العلماء، حتى إنه استقدم المحدّث المشهور أبا بكر بن أبي داود السجستاني[2] (العسقلاني، 1971، 293/3) ليتلقى منه العلم ويستمع إلى رواياته الحديثية (السجستاني، 2009، 21)، فاعتمد منهج تعليم الحديث على دراسة السند والمتن معاً، مما ساهم في تنمية التفكير النقدي لدى الأمراء، وقدرتهم على التمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة، كما حرص المؤدبون على ربط هذه الأحاديث بتطبيقات عملية في الحكم، كتطبيق أحكام العدل، وضبط السياسة الشرعية، وإدارة شؤون الرعية، مما جعل التعليم أداة فعالة في إعدادهم

[1] المروزي: أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي، محدث ثقة، شيخ مرو وعالمها، توفي سنة 346هـ/957م.

[2] عبد الله بن سليمان بن السجستاني(230–316هـ/844–929م): من كبار حفاظ الحديث، له تصانيف، كان إمام أهل العراق، وعمي في آخر عمره. ولد بسجستان، واستقر وتوفي ببغداد.

لمواجهة تعقيدات الحكم؛ أما في مجال العلوم العقلية، فقد شهد المنهج التعليمي تطوراً ملحوظاً في العصر العباسي الثاني، إذ دخلت علوم المنطق والفلسفة إلى بلاط الامراء، وإن بقيت خاضعةً لضوابط شرعية، وفي هذا الإطار، يُذكر أن الفيلسوفَ والمترجمَ الشهيرَ متى بن يونس[1]، (خورشيد، 1998م، 9006)، قد نشط في بغداد خلال عهد الخليفة الراضي بالله ، (ابن الجوزي، 1992م، ج265/6) (الذهبي، 1985م، ج401/11) إذ ساهمت مؤلفاته وشروحه في إدخال الفلسفة اليونانية إلى الوسط الثقافي.

وعلى الرغم من أن المربين قدموا المعارف في قالب يتناسب مع الهوية الإسلامية ويلمس بعض التطبيقات الإدارية، فإن الغاية من التعليم لم تكن دائماً تمكين الأمراء بالكامل، ففي ظل صراعات النفوذ، خاصة مع تنامي سيطرة نفوذ الأتراك، كان هناك توجه من بعض الأطراف لتقييد المعرفة العميقة المتعلقة بفنون الحكم وإدارة الدولة، ولعل الهدف من دراسة التاريخ والسير في أحيان كثيرة وحَصْرَها في استعراض سِيَر الملوك وأخبارهم دون تعمق في تحليل هياكل السلطة أو آليات صنع القرار، هو ضمان إعداد حكام صوريين لا يمسكون بزمام السلطة الحقيقية، وهو ما انعكس على محدودية تأثير ذلك التعليم في تشكيل رؤية سياسية مستقلة لدى العديد من الأمراء (صالحية، د.ت، 65)، وفي الجانب العملي التطبيقي، اهتم المنهج التربوي بتعليم الأمراء فنون الإدارة والحكم، إذ كان المؤدبون يقدمون لهم نماذج عملية من واقع الدولة العباسية، وتشير المصادر إلى أن أبا بكر الصولي كان يشرح للأمير المقتدر بالله نظام الدواوين وطرق إدارتها، مع تحليل للتجارب التاريخية الناجحة في هذا المجال، (ضيف، 1995م، 380)، كما كان المؤدبون يعدون الأمراء للجانب العملي للحكم من خلال تمارين المحاكاة ودراسة الحالات، مما ساهم في تطوير المهارات القيادية لدى الأمراء، وعلى الرغم من اهتمام الخلفاء بتأديب أبنائهم إلا أنه في بعض الأحيان وبسبب ضعف الخلفاء وتحكم القادة العسكريين الأتراك في زمام الحكم، كان المؤدب يمنع من تنفيذ مهامه، مثال ذلك حين طلب الأتراك من الصولي التوقف عن تعليم الراضي وأخيه هارون، فقالوا "ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء، وهذا أبوهم قد رأينا كل ما نحب فيه وليس بعالم"(الصولي، 1935م، 26).

وقد تأثر المنهج التربوي للأمراء بحركة الترجمة والنقل التي بلغت ذروتها في العصر العباسي، (الحسناوي، د.ت، 11) حيث دخلت بعض العناصر من الثقافات الفارسية واليونانية في تعليم وتربية الأمراء لا سيّما أن بعض المؤدبين كانوا يدرّسون للأمراء كتباً مترجمة مثل "كليلة ودمنة"، و"سير الملوك" الفارسية، مع تكييف محتواها ليتناسب مع القيم الإسلامية، (أمين، 2012م، 180)، وكان ذلك الانفتاح المعرفي يتم بحذر وانتقائية، إذ كان المؤدبون يختارون ما يتوافق مع الثقافة العربية الإسلامية، ويخدم أهداف التربية السياسية، وقد حظيت دراسات اللغة برعاية الخلفاء وجعلوها منهجاً رئيساً لأبنائهم، ودأبوا على تقديم النصح لأبنائهم ومؤدبيهم للاهتمام بها (صالحية، د.ت، 67). وقد برز ذلك الاهتمام جلياً في عهد الخليفة الراضي بالله، الذي عُرف بمجالسه الأدبية وحرصه على سماع الشعر وقراءة كتب اللغة والأخبار، مما يشير إلى تقديره للغة العربية وأهميتها في تقويم اللسان وتزيين المجالس(الصولي، 1935م، 5–7)، كما ظهر تأثير الثقافة الفارسية في بعض أساليب تربية الأمراء، خاصة في مجال آداب السلوك والمجالسة، إذ كان المؤدبون يعلمون الأمراء فنون المجالس وآداب الحديث (زيدان، د.ت، 83).

[1] متى بن يونس: أبو بشر، متى بن يونس القنائي، فيلسوف ومترجم نسطوري، تعلّم في بغداد وبرع في المنطق، عاش في عهد الخليفة الراضي بالله، توفي سنة 328هـ/939م.

رابعاً: أثر تربية الأمراء في تأهيل الحكام وسياسات الدولة:

تجلّى الأثر التربوي الذي تلقاه أمراء العصر العباسي على يد مُعلميهم في سياسات الدولة خلال عصر النفوذ التركي (232–334هـ/847–946م)، ويتضح ذلك من خلال نماذج متعددة من الخلفاء الذين حاولوا استعادة السلطة والهيبة للخلافة، ومنهم: المهتدي بالله (255–256هـ/٨٦٩–٨٦٩م) الذي تلقى تربية دينية مكثفة، وحاول التصدي للأتراك وإصلاح الدولة، ودفع حياته ثمناً لمحاولته، والموفق بن المتوكل (ت 278هـ/٨٩١م) الذي تميز بتربية عسكرية وإدارية مكتملة، وقاد الجيوش وحارب الزنج، وساهم في استقرار الدولة، والمعتضد بالله (279–289هـ/٨٩٢–٩٠١م) الذي اشتهر بالحزم والعدل، وحاول إعادة هيكلة الدولة بعد فترة من الضعف، والمكتفي بالله (289–295هـ/٩٠١–٩٠٧م) المعروف بدهائه السياسي وحسن إدارته للعلاقات الخارجية، فعلى على الصعيد السياسي، يتجلى أثر التربية المتكاملة للأمراء في منهجية حكم بعض الخلفاء، حيث يُلاحظ أن الخليفة الراضي بالله سعى إلى إصلاح البنية الحاكمة وإعادة تفعيل دور الخلافة بعد مرحلة من التراجع، مستنداً في ذلك إلى الأسس السياسية التي اكتسبها من مُربيه، فقد ركز بشكل خاص على تطوير الجهاز القضائي وإعادة هيكلة الدواوين الحكومية، وهو ما يُعد انعكاساً واضحاً للتعليم الإداري المتقدم الذي حظي به، كما اتسمت سياسته مع القادة الأتراك بالتفاعل المتوازن مقارنة بمن سبقوه، حيث اعتمد على المناورات الدبلوماسية بدلاً من الصدام المفتوح، وهو نهج يُعزى مباشرة إلى التكوين السياسي الواقعي الذي تلقاه خلال فترة تربيته (الزركلي، 2002م، ج6/71–72)

وقد تجسّد تأثير التنشئة الأميرية في طبيعة علاقة عدد من الخلفاء بالعامة وأهل العلم. فقد أبدى الخليفة المقتدر بالله – الذي كان أبو بكر الصولي أحد مؤدبيه – اهتماماً بإقامة الإنصاف والعدالة. وتشير المصادر التاريخية إلى أنه دأب على عقد جلسات القضاء والإنصات لمظالم الناس التي كانت ترفع إليه مباشرة، (التنوخي، 1391هـ، 7/234)، وهو أمر يعكس تأثير التربية العربية الإسلامية التي تلقاها، غير أن تأثير تربية الأمراء لم يكن دائماً بالحجم المتوقع، إذ تظهر بعض الحالات التي أخفقت فيها التربية في تغيير المسارات الشخصية أو السياسية للأمراء، وهو ما يؤكد أن العملية التربوية، رغم دقتها، لم تكن ضمانة مطلقة لنجاح الحاكم، حيث تتدخل العوامل الشخصية والظروف السياسية في تحديد المخرجات النهائية، كما في شخصية القاهر بالله ، الذي كان أهوج، سفاكا للدماء، قبيح السيرة". (السيوطي، 1996، 281).

في إطار العلاقات الدولية والشؤون الخارجية، يتجلى الأثر التربوي للأمراء في عدد من المواقف الدبلوماسية التي انتهجتها الدولة العباسية، فقد أظهر الخليفة المكتفي بالله (البُستي، 1987م، ص579) – المعروف بدهائه السياسي – فهماً عميقاً لمعادلات القوى خلال تفاعله مع الإمبراطورية البيزنطية والكيانات المنفصلة داخل دار الإسلام، وهو ما يُعزى جزئياً إلى تكوينه السياسي الواقعي، كما اتسمت معالجته للأمور بمرونة أكبر مقارنة بمن سبقوه، إذ آثر الحلول التفاوضية عندما تتيح الظروف، انسجاماً مع النهج التربوي الذي كان المربون يوصون به تلامذتهم، وتشير المصادر إلى أنه عُرف بحسن إدارته، فاكتسب محبة الرعية (الذهبي، 1985م، ج10/488).

الخاتمة:

بعد استعراض محاور هذه الدراسة حول دور مؤدبي الأمراء خلال العصر العباسي الثاني (232–334هـ/847–946م)، تبلورت مجموعة من الاستنتاجات الرئيسة:

• إن تأهيل وتأديب أبناء الخلفاء في العصر العباسي الثاني، يُعدّ أنموذجاً فريداً للتفاعل بين التربية والسلطة، إذ نجحوا في صياغة منهج تربوي متكامل جمع بين الأصالة الإسلامية والانفتاح على الثقافات الأخرى.

• إن المنهج التربوي للأمراء تميز بالشمولية والتنوع، إذ اشتمل على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والعقلية، إلى جانب المهارات السياسية والإدارية العملية، مما ساهم في تشكيل شخصيات متعددة الأبعاد.

• إن تربية الأمراء أسهمت في تطوير وتأهيل الحكام، حيث ظهرت نماذج متميزة من الأمراء الذين جمعوا بين العلم والحكم، كالمكتفي بالله، والراضي بالله، رغم التحديات السياسية التي واجهتها الخلافة.

• كشفت الدراسة عن العلاقة الجدلية بين التربية والسلطة، حيث أثبتت أن التربية الناجحة يمكن أن تسهم في صناعة قادة أكفاء، لكنها تبقى خاضعة لتأثير العوامل السياسية والاجتماعية المحيطة.

• ترك مؤدبو الأمراء إرثاً تربوياً مهماً يمكن الاستفادة منه في عصرنا الحاضر، وبخاصة في مجال إعداد القيادات وتنشئة وتأهيل الجيل الجديد، إذ جمعوا بين التأسيس العلمي الرصين والتدريب العملي على مهام الحكم.

• بينت الدراسة محدودية تأثير التربية في بعض الحالات بسبب العوامل السياسية أو الشخصية، مما يؤكد أن العملية التربوية ليست معزولة عن الإطار العام الذي تعمل فيه.

• رغم تلقّي الأمراء تعليماً متكاملاً وشاملاً، فإن عدة عوامل حالَت دون تحويل ذلك التأهيل إلى سلطة فعلية تستطيع مواجهة النفوذ التركي مثل الهيمنة العسكرية التركية، الضعف الاقتصادي، التفتت السياسي، وهذا يوضح أن التربية رغم أهميتها، لم تكن كافية لمواجهة تحولات بنيوية عميقة في هيكل السلطة.

المراجع

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرام. (1998م). الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1992م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
3. ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله. (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر.
4. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٩٧١م). لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
5. ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1994م). وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، تح: إحسان عباس، الطبعة السابعة، دار صادر، بيروت.
6. ابن سينا، الحسين بن عبد الله. (د.ت). رسالة ضمن مجموع في السياسة. تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
7. ابن عساكر، علي بن الحسن. (1998م). تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي. ج18، دار الفكر، بيروت.
8. أمين، أحمد. (2012م). ضحى الإسلام، الطبعة الأولى، من منشورات مؤسسة هنداوي، الأردن.
9. البزار، أحمد بن عمرو. (2009م). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تح: محفوظ عبد الرحمن زين الله، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
10. البُستي، محمد بن حبان. (١٩٨٧م). السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تح: الحافظ السيد عزيز بك، الطبعة الأولى، دار الكتب الثقافية، بيروت.
11. التنوخي، المحسن بن علي. (1391هـ). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
12. الجاحظ، عمرو بن بحر. (1419هـ). البخلاء، الطبعة الثانية، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
13. الجاحظ، عمرو بن بحر. (2002م) الرسائل الأدبية، الطبعة الثانية، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
14. الحسناوي، أسماء عبد عون. (د.ت). حركة الترجمة في العصر العباسي الأول، مجلة الطريق للعلوم التربوية والاجتماعية، المجلد 40، العدد1: ص11.
15. الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1993م). معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
16. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (1417هـ). تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
17. خورشيد، إبراهيم زكي. (1998م). موجز دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، مركز الشارقة للإبداع الفكري.

18. الذهبي، محمد بن أحمد. (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

19. ربوشة، عبد المعز فضل عبد الرزاق. (2023م). موسوعة تاريخ العالم الإسلامي عصر الدولة العباسية، الطبعة الأولى، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية.

20. الزركلي، خير الدين. (2002م). الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين.

21. زيدان، جرجي. (د.ت). تاريخ التمدن الإسلامي، الطبعة الأولى، مطبعة الهلال، مصر.

22. السجستاني، سليمان بن الأشعث. (2009م). سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت.

23. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٦م). تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين بن عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.

24. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2003م). الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.

25. شلبي، أحمد. (1987م). التربية الإسلامية: نظمها – فلسفتها – تاريخها، وضعه بالإنكليزية وترجمه إلى العربية الدكتور أحمد شلبي، الطبعة السادسة، القاهرة.

26. صالحية، محمد عيسى. (د.ت). مؤدبو الخلفاء في العصر العباسي الأول (132–247هـ/750–861م). جامعة تكريت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد2، العدد5.

27. الصفدي، خليل بن أيبك. (2000). الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.

28. الصولي، محمد بن يحيى (1935م). أخبار الراضي بالله والمتقي لله تاريخ الدولة العباسية من كتاب الأوراق، تح: ج. هيورث دن، مطبعة الصاوي، مصر.

29. ضيف، شوقي. (1995م). تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر.

30. فضل الله، علي محمد جواد. (2001م). النظريات الكلامية عند الطوسي، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت.

31. القنوجي، محمد. (2007م). التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول. قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

32. كحالة، عمر رضا. (1973م). دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية. دمشق، المطبعة التعاونية.

33. الماتريدي، محمد بن محمد. (٢٠٠٥م). تفسير الماتريدي، تح: مجدي باسلوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

34. مرعي، سامي، الحرب الأهلية الثانية بين أفراد الأسرة العباسية(251–252هـ/865–866م)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 140، 2020م.

35. المسعودي، علي بن الحسين. (2005م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال مرعي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا.

36. المسلمي، محمد بن سالم. (2021م). ظاهرة التأديب في الحضارة العربية الإسلامية. مجلة مركز دراسات الكوفة. عدد خاص.

37. مصطفى، أحمد أمين. (1990م). أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

38. نوري، نوفل محمد. (2011م). مظاهر التأديب والتعليم لأبناء الخلفاء في العصر العباسي (132–334هـ/ 750–945م). جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، المجلد 18، العدد3.

39. النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (2004م). نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، تحقيق: نجيب فواز، حكمت فواز، محمد مروة، يوسف الطويل، يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت.

40. الهروي، محمد بن أحمد. (2001م). تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.